تفسير الالفاظ العباسية

في نشوار المحاضرة

(تابع لما في الجزء الثامن)

(أبو مشكاحل)

وفي (ص ٢٦٢ — ٢٦٣) . في مخاطبة ابن الجصّاص للخليفة المكتفي « قال ومن أين عندك أنت مثل هذا يا أبا مشكاحل فتنكّر المكتفي وتمّر وهمّ به فأومى (١) اليه العبّاس بالامساك فأمسك وترك العقد ابن الجصّاص بحضرة الخليفة وخرج فقال المكتفي للعبّاس يا لله ويخفى عليك هذه الكنية يلقبني بها العامة فقال لا والله يامولانا ولكن هذا رجل رقيع عامّي والعامة اذا افتخرت على انسان قالت له مثل هذا » . ومنه عرفنا انّ العامّة كانت تخاطب به من تفتخر عليه . وقد ورد باللام في آخره أيضاً في حكاية أبي القاسم البغداديّ لأبي المطهّر الأزديّ (أوّل ص٩٤) بما نصّه « فيقدّم صاحبه البيدق فيقول يا أبا مشكاحل لقمة » . والذي رأيناه أكثر وروداً في عبارات المولدين (المشكاح) بلا لام في آخره وقد ذكره دوزي في معجمه ولم يتكلّم عليه بسوى تفسيره بالفقير أو الصعلوك البائس وهو المفهوم من استعمالهم له في العبارات التي وقفنا عليها . وتكرر ذكره مراداً به الشخص الوضيع في نزهة النفوس ومضحك العبوس لابن سودون . وفي الكواكب السائرة للغزي في ذكر مناقب ابن حبيب الصفدي وغضّه من نفسه انّ الشيخ عليّ بن ميمون بعث اليه يستأذن في الزيارة فبعث اليه يقول « انّ مشكاح الأسواق لا يزار » . ولم تزل العامّة بمصر تستعمل المشكاح للوضيع المكثر الجولان في الطرق والأسواق ومن أمثالهم (اجري يامشكاح للّي قاعد مرتاح) يضرب لمن يتعب نفسه لاراحة غيره بلا طائل ومنها (جوّزوا مشكاح لريمة ما على الاتنين قيمة) يضرب في معنى وافق شنّ طبقه .

هذا ما يتعلّق بمعناه وقد وضح أمّا لفظه وأصله فلم أقف فيه على شيء مع كثرة بحثي عنه ويبعد أن يكون من (الكشخان) الذي يراد به في الفارسيّة الساقط أسيء

---

(١) كذا بالنسخة والصواب فأومأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بابدال النون لاماً والخاء حاءً مع قلب وتغيير فيه والراجح عندي أن يكون من اللغة الساسانيّة . وقد استعملوا في ذلك العهد لفظاً آخر قريباً من لفظه ومعناه وهو (المشقاع) وورد في بيت في حكاية أبي القاسم البغداديّ (ص ٩) وهو :

لبست ذا القطن من البرد أم أنت كمثرى نهاوندي
بل أنت مشقاع له صولة تشبه حقّاً صولة الجندي

وهو من ألفاظ اللغة الساسانية الواردة في قصيدة أبي دلف في قوله (اليتيمة ج ٣ ص ١٨٨) :

ومنّا كل مشقاع من الفتيان كاللفر

وفُسّر بأنّه الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها واللغر السفل . ثمّ قال (أوّل ص ١٩١) :

وأصحاب الشقاعات من المشاطح العكر
ترى للقمل في كلّ — شقاع مائتي وكر

وفسّرت الشقاعات بأنّها جمع شقاع وهو الوطاء اذا كان من ألوان أو لون واحد ويكون مع جنس منهم فيدورون في المواضع ويبسطون الشقاعات ويصلّون عليها ولا يأوون الى موضع فلهذا يقال لهم المشاطح لأنّ المشطح هو الذي يطوف دائباً ولا يفترّ انتهى . وكلها ألفاظ عاميّة ساسانيّة ان سهل معرفة معانيها من تفسيراتهم صعب ارجاعها الى أصولها الاّ بعناء ووقت

(البرّادة)

وفي (ص ٢٦٤) . « فتلمّحت الدار فوقعت عيني على برّادة عليها كيزان معلّقة في أعلاها » . يقال برّد الماء برداً وبرّده تبريداً اذا جعله بارداً أو خلطه بالثلج والبرّادة كجبّانة اناء يبرّد الماء وكوّازة يبرّد عليها الماء أي اناء توضع عليه كيزان الماء لتبريده وهو المراد هنا كما لا يخفى . والراجح في قول اللغويّين « اناء يبرّد الماء » أن يكون المراد به ما تسمّيه عامة مصر (البرّاديّة) بتشديد الراء وهي قلة من الفخّار تبرّد الماء بتعريضها للهواء والغالب أن تكون من الفخّار الأحمر ولا ريب في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انّها محرّفة عن البرّادة بزيادة ياء النسبة. أمّا تعريفهم لها بالكوّازة فيحتمل أمرين الأوّل أن تكون شيئاً توضع عليه الكيزان معرّضة للهواء لتبريد مائها وهو المفهوم من تفسير البرّادة الوارد في شرح الشريشيّ على المقامة الثالثة عشرة الحريريّة (ج ١ ص ٣١٠ — ٣١١ من طبعة بولاق ١٣٠٠) فقد قال في كلامه على لغة أهل القبلة ويريد بهم أهل البلاد المغربيّة الواقعة جهة قبلة الأندلس «وعلى أنّ البربريّة غالبة على ألسنة أهل القبلة فهم يستعملون كثيراً من ألفاظ أهل العراق يقولون لفرق الناس الشماسك وكذا تسمية أهل سجلماسة ويسمّون البرّادة التي لشرب الماء بوقالاً وكذا تسمية أهل سجلماسة» الى أن قال «والبرّادة عندهم اناء من صفر فيها مخاطيف تعلّق فيها البواقيل وترفع للهواء فيبرد فيها الماء» انتهى. الثاني أن تكون البرّادة وعاء للثلج توضع عليه كيزان الماء وهذه احدى الطرق التي كانت متّبعة عندهم لتبريد الماء اذا لم يريدوا خلطه بالثلج قال صاحب مطالع البدور (ج ٢ ص ٧١) «وما كان كافور يذوق الثلج وانّما كانت الكيزان توضع عليه فيشرب منها وبهذا سلم من ضرر الثلج» ولا يتصوّر أن يكون الثلج في غير وعاء.

وجاء في بغية الوعاة للسيوطيّ (ص ٩١) في ترجمة محمّد بن القاسم الأنباريّ «ولم يشرب الى العصر فيّا كان العصر قال لغلام الوظيفة فجاءه بماء من الحبّ وترك المزمّل بالثلج فغاظني ذلك» ومعنى المزمّل المحاط بشيء الملفوف به والمراد احاطة أواني الماء بالثلج وهي طريقة اخرى كانت لهم في التبريد به غير طريقة وضع الكيزان عليه. وجاء في كتاب (كنز الفوائد في تنويع الموائد) في الكلام على شرب الماء البارد على الطعام قوله «تبريد الماء المشروب المزمّل بالثلج المضروب» ومعنى ضرب الشيء بالشيء خلطه فالماء المضروب معناه المخلوط بالثلج وهو غير المزمّل فالصواب (والمضروب) بواو العطف ليستقيم الكلام.

والخلاصة انّ البرّادة الواردة في عبارة النشوار هي التي تعلّق عليها الكيزان معرّضة للهواء وقد علمنا أنّها كانت تطلق أيضاً على اناء من الفخار كالذي تسمّيه عامة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مصر بالبرّاديّة وعلى وعآء التبريد أي ما نسمّيه اليوم (بالتلاّجة (١)) والنصوص اللغوية غير مانعة من هذه الاستعمالات . وقد جآء التعبير عن (التلاّجة) بالثلجيّة في تاريخ الوزرآء للصابئ (آخر ص ٢١٦ — ٢١٧) في قوله « فقال لأحد غلمانه استق لنا من هذا الشيخ مآء ففعل الغلام وقام الشيخ مسرعاً فجآء بثلجيّة نظيفة فيها مآء بارد فشرب وانصرف » وجآء التعبير بها أيضاً في عيون الأنبآء (ج ١ ص ٨٣) ولكن يظهر أنه أراد بها وعآء لصنع الثلج فقد ذكر صفة خلط المآء بالشبّ اليمانيّ ومقدار ما يتخذ من كليهما وصفة العمل ثمّ قال « فاذا أردت العمل به أخذت ثلجيّة جديدة وفيها مآء صاف واجعل في المآء عشرة مثاقيل من المآء المعمول بالشبّ ويترك ساعة واحدة فانّه يصير ثلجاً » .

(لها بقية) احمد تيمور